- ٢ -

القـــرآن

من فضل الله على الإنسان أنه لم يتركه فى الحياة يستهدى بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة ، تقوده إلى الخير ، وترشده إلى البر فحسب ، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولاً يحمل من الله كتابًا يدعوه إلى عبادة الله وحده ، ويبشر وينذر ، لتقوم عليه الحجة : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١) .

وظلت الإنسانية - فى تطورها ورقيها الفكرى - والوحى يعاودها بما يناسبها ويحل مشاكلها الوقتية فى نطاق قوم كل رسول ، حتى اكتمل نضجها ، وأراد الله لرسالة محمد ﷺ أن تُشرق على الوجود ، فبعثه على فَتْرَةٍ من الرسل . ليُكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة ، وكتابه المنزَّل عليه ، وهو القرآن الكريم . . . « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون منه ، ويقولون : لولا هذه اللَّبِنَة ، فأنا اللَّبِنَة ، وأنا خاتَم النبيين » (٢) .

فالقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة ، وقد تواترت النصوص الدالة على ذلك فى الكتاب والسُّنَّة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) . . ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٤) ، « وكان كل نبى يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعِثتُ إلى الناس كافة » (٥) ، ولن يأتى بعده رسالة

---

(١) النساء : ١٦٥ (٢) متفق عليه .

(٣) الأعراف : ١٥٨ (٤) الفرقان : ١

(٥) فى « الصحيحين » من حديث : « أُعطيت خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحد قبلى » .

أخرى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١).

فلا غرو من أن يأتى القرآن وافيًا بجميع مطالب الحياة الإنسانية على الأسس الأولى للأديان السماوية : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٢) . .

وتحدى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن ، وقد نزل بلسانهم ، وهم أرباب الفصاحة والبيان ، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، فثبت له الإعجاز ، وبإعجازه ثبتت الرسالة .

وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل ، فمن أوصاف جبريل الذى نزل به : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ (٣) ، ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى العَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلا المُطَهَّرُونَ﴾(٥).

ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٦) .

وتجاوزت رسالة القرآن الإنس إلى الجن : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ (٧) .

---

(١) الأحزاب : ٤٠ (٢) الشورى : ١٣ (٣) الشعراء : ١٩٣
(٤) التكوير : ١٩ - ٢٤ (٥) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ (٦) الحجر : ٩
(٧) الأحقاف : ٢٩ - ٣١

والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية فى شتَّى مرافق الحياة ، الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجًا حكيمًا ، لأنه تنزيل الحكيم الحميد ، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافى فى أُسس عامة ، ترسم الإنسانية خُطاها ، وتبنى عليها فى كل عصر ما يلائمها ، فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان ، فهو دين الخلود ، وما أروع ما قاله داعية الإسلام فى القرن الرابع عشر : « الإسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعًا ، فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة ، وهو خُلُق وقوة ، أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة ، أو كسب وغِنَى ، وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة سواء بسواء » (١) .

والإنسانية المعذَّبة اليوم فى ضميرها ، المضطربة فى أنظمتها ، المتداعية فى أخلاقها ، لا عاصم لها من الهاوية التى تتردى فيها إلا القرآن : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٢) .

والمسلمون هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى ، فحرى بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف ، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم ، حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام ، وكما كانت لهم الدولة بالقرآن فى الماضى ، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به فى الحاضر .

* * *

تعريف القرآن

« **قرأ** » : تأتى بمعنى الجمع والضم ، والقراءة : ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، والقرآن فى الأصل كالقراءة : مصدر قرأ قراءة وقرآناً . قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٣) . أى قراءته ،

---

(١) من رسالة « التعاليم » : للإمام الشهيد حسن البنا .

(٢) طه : ١٢٣ - ١٢٤ (٣) القيامة : ١٧ - ١٨

فهو مصدر على وزن « فُعلان » بالضم : كالغفران والشكران ، تقول : قرأته قرءاً وقراءة وقرآناً ، بمعنى واحد ، سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر .

وقد خُصَّ القرآن بالكتاب المنزَّل على محمد ﷺ فصار له كالعَلَم الشخصى .

ويُطلق بالاشتراك اللَّفظى على مجموع القرآن ، وعلى كل آية من آياته ، فإذا سمعت مَن يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾ (١) . .

وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم ، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣) . .

وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل فى الاشتقاق ، إما لأنه وُضِعَ عَلَمًا مرتجلاً على الكلام المنزَّل على النبى ﷺ وليس مشتقاً من « قرأ » ، وإما لأنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمَّه إليه ، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فالنون أصلية - وهذا رأى مرجوح ، والصواب الأول .

والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا ، والحد الحقيقى له هو استحضاره معهودًا فى الذهن أو مُشَاهَدًا بالحس كأن تشير إليه مكتوبًا فى المصحف أو مقروءًا باللِّسان فتقول : هو ما بين هاتين الدفتين ، أو تقول : هو من ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) . . . إلى قوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(٥) .

---

(١) الأعراف : ٢٠٤ (٢) النحل : ٨٩

(٣) سياق الآية يدل على أن المراد بالكتاب هنا اللَّوح المحفوظ ، ولكن القرآن ثبت فى اللَّوح المحفوظ - (والآية من سورة الأنعام : ٣٨) .

(٤) الفاتحة : ١ - ٢ (٥) الناس : ٦

ويذكر العلماء تعريفاً له يُقَرِّب معناه ويميزه عن غيره ، فيُعَرِّفونه بأنه : « كلام الله، المنزّل على محمد ﷺ ، المُتعَبَّد بتلاوته » . فـ « الكلام » جنس فى التعريف ، يشمل كل كلام ، وإضافته إلى « الله » يُخرِج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و« المنزّل » يخرج كلام الله الذى استأثر به سبحانه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١) ، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ (٢) .

وتقييد المنزَّل بكونه على : محمد ﷺ يُخرج ما أُنْزِلَ على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما .

و« المُتعبَد بتلاوته » يُخرج قراءات الآحاد ، والأحاديث القدسية - إن قلنا إنها منزَّلة من عند الله بألفاظها - لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة ، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك .

* * *

أسماؤه وأوصافه

وقد سمَّاه الله بأسماء كثيرة ، منها :

« **القرآن** » . . ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٣) . .

و« **الكتاب** » . . ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (٤) . .

و« **الفرقان** » . . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) . .

و« **الذكر** » . . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٦) . .

---

(١) الكهف : ١٠٩ (٢) لقمان : ٢٧ (٣) الإسراء : ٩
(٤) الأنبياء : ١٠ (٥) الفرقان : ١ (٦) الحجر : ٩

و« **التنزيل** » . . ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . . إلى غير ذلك مما ورد فى القرآن .

وقد غلب من أسمائه : « القرآن » ، و« الكتاب » ، قال الدكتور محمد عبد الله دراز :

« رُوعِيَ فى تسميته « قرآنًا » كونه متلوًا بالألسن ، كما رُوعِيَ فى تسميته « كتابًا » كونه مدونًا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شىء بالمعنى الواقع عليه .

وفى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعًا ، أن تضل إحداهما فتُذكِّر إحداهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التى وُضِعَ عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفَّاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها ، بقى القرآن محفوظًا فى حرز حريز ، إنجازًا لوعد الله الذى تكفَّل بحفظه حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند » (٣) .

وبيَّن سر هذه التفرقة بأن سائر الكتب السماوية جىء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جىء به مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة زائدًا عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سائرًا مسيرها ، ولم يكن شىء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمراً يَسَّر له أسبابه - وهو الحكيم العليم - وهذا تعليل جيد .

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك :

---

(١) الشعراء : ١٩٢ .　　(٢) الحجر : ٩

(٣) « النبأ العظيم » (ص١٢ ، ١٣) - ط . دار القلم بالكويت .

منها « نور » . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١) .

و« هدى » و« شفاء » و« رحمة » و« موعظة » . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

و« مبارك » . . ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (٣) .

و« مبين » . . ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

و« بشرى » . . ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

و« عزيز » . . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٦) .

و« مجيد » . . ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٧) .

و« بشير » و« نذير » . . ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨) .

وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معانى القرآن .

* * *

الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى

سبق تعريف القرآن ، ولكى نعرف الفرق بينه وبين الحديث القدسى والحديث النبوى نعطى التعريفين الآتيين :

● **الحديث النبوى :**

الحديث فى اللُّغة : ضد القديم ، ويُطلق ويراد به كل كلام يُتحدث به ويُنقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحى فى يقظته أو منامه ، وبهذا المعنى سُمِّى

---

(١) النساء : ١٧٤ (٢) يونس : ٥٧ (٣) الأنعام : ٩٢
(٤) المائدة : ١٥ (٥) البقرة : ٩٧ (٦) فصلت : ٤١
(٧) البروج : ٢١ (٨) فصلت : ٣ - ٤

القرآن حديثاً : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾ (١) وسُمِيَ ما يُحَدِّث به الإنسان فى نومه : ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ (٢) .

والحديث فى الاصطلاح : ما أُضيفَ إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة .

فالقول : كقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . . »(٣) .

والفعل : كالذى ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ، ثم قال : « صلُّوا كما رأيتمونى أُصَلِّى » (٤) ، وما ثبت من كيفية حجه ، وقد قال : « خذوا عنى مناسككم » (٥) .

والإقرار : كأن يقر أمرًا علمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل . سواء أكان ذلك فى حضرته ﷺ ، أم فى غيبته ثم بلغه ، ومن أمثلته : « أكل الضب على مائدته ﷺ » ، « وما رُوِىَ من أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحاب فى صلاته فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ (٦) ، فلما رجعوا ذكروا ذلك له عليه الصلاة والسلام ، فقال : سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبى ﷺ : « أخبِروه أن الله يحبه»(٧) .

والصفة : كما رُوِىَ : من أنه ﷺ ، كان دائم البشر ، سهل الخُلُق ، لَيِّن الجانب ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ ولا فحَّاشٍ ولا عيَّابٍ . . . » .

* * *

● **الحديث القدسى** :

عرفنا معنى الحديث لغة ، **والقدسى** : نسبة إلى القدس ، وهى نسبة تدل على التعظيم ، لأن مادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير فى اللُّغة ، فالتقديس : تنزيه

---

(١) النساء : ٨٧ (٢) يوسف : ١٠١

(٣) من حديث طويل رواه البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب .

(٤) رواه البخارى . (٥) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى .

(٦) الإخلاص : ١ (٧) رواه البخارى ومسلم .

الله تعالى ، والتقديس : التطهير ، وتقدَّس : تطهَّر . قال الله تعالى على لسان ملائكته : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (١) أى نُطهِّر أنفسنا لك .

والحديث القدسى فى الاصطلاح : هو ما يضيفه النبى ﷺ إلى الله تعالى ، أى أن النبى ﷺ يرويه على أنه من كلام الله ، فالرسول راو لكلام الله بلفظ من عنده ، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مُسْنَدًا إلى الله عز وجل ، فيقول : « قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل . . . . » .

أو يقول : « قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى - أو يقول الله تعالى . . . » .

ومثال الأول : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحَّاء اللَّيل والنهار . . . » (٢) .

ومثال الثانى : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ خير منه . . . » (٣) .

* * *

● الفرق بين القرآن والحديث القدسى :

هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسى أهمها :

١ - أن القرآن الكريم كلام الله أُوحِىَ به إلى رسول الله بلفظه ، وتحدى به العرب ، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، ولا يزال التحدى به قائمًا ، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين .

والحديث القدسى لم يقع به التحدى والإعجاز .

٢ - والقرآن الكريم لا يُنْسَب إلا إلى الله تعالى ، فيقال : قال الله تعالى .

والحديث القدسى - كما سبق - قد يُرْوَى مضافًا إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال : قال الله تعالى ، أو : يقول الله تعالى ، وقد يُرْوَى مضافًا إلى رسول الله ﷺ ، وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه عليه

---

(١) البقرة : ٣٠ (٢) أخرجه البخارى . (٣) أخرجه البخارى ومسلم .

الصلاة والسلام هو الْمُخْبِر به عن الله ، فيقال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

٣ - والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر ، فهو قطعى الثبوت ، والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد ، فهى ظنية الثبوت ، وقد يكون الحديث القدسى صحيحاً ، وقد يكون حسنًا ، وقد يكون ضعيفًا .

٤ - والقرآن الكريم من عند الله لفظًا ومعنى ، فهو وحى باللَّفظ والمعنى .

والحديث القدسى معناه من عند الله ، ولفظه من عند الرسول ﷺ على الصحيح فهو وحى بالمعنى دون اللَّفظ ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدِّثين .

٥ - والقرآن الكريم مُتَعَبَّدٌ بتلاوته ، فهو الذى تتعين القراءة به فى الصلاة : ﴿ فَاقْرَأُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ ﴾ (١) ، وقراءته عبادة يُثيب الله عليها بما جاء فى الحديث : « مَن قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (٢) .

والحديث القدسى لا يجزئ فى الصلاة ، ويثيب الله على قراءته ثوابًا عاما ، فلا يصدق فيه الثواب الذى ورد ذكره فى الحديث على قراءة القرآن ، بكل حرف عشر حسنات .

* * *

● الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى :

الحديث النبوى قسمان :

« قسم توقيفى » وهو الذى تلقى الرسول ﷺ مضمونه من الوحى فبيَّنه للناس بكلامه ، وهذا القسم وإن كان مضمونه منسوباً إلى الله فإنه - من حيث هو كلام - حرى بأن يُنسب إلى الرسول ﷺ ، لأن الكلام إنما يُنسب إلى قائله وإن كان فيه من المعنى قد تلقاه عن غيره .

---

(١) المزمل : ٢٠

(٢) رواه الترمذى عن ابن مسعود ، وقال : حديث حسن صحيح .

و« قسم توفيقى » وهو الذى استنبطه الرسول ﷺ من فهمه للقرآن ، لأنه مبيِّن له ، أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد ، وهذا القسم الاستنباطى الاجتهادى يقره الوحى إذا كان صوابًا ، وإذا وقع فيه خطأ جزئى نزل الوحى بما فيه الصواب [1] وليس هذا القسم كلام الله قطعًا .

ويتبين من ذلك : أن الأحاديث النبوية بقسميها : التوقيفى ، والتوفيقى الاجتهادى الذى أقره الوحى ، يمكن أن يقال فيها إن مردها جميعاً بجملتها إلى الوحى ، وهذا معنى قوله تعالى فى رسولنا ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْىٌ يُوحَى ﴾ [2] . .

والحديث القدسى معناه من عند الله عز وجل ، يُلْقَى إلى الرسول ﷺ بكيفية من كيفيات الوحى - لا على التعيين ، أما ألفاظه فمن عند الرسول ﷺ على الراجح ونسبته إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه ، ولو كان لفظه من عند الله لما كان هناك فرق بينه وبين القرآن ، ولوقع التحدى بأسلوبه والتعبد بتلاوته .

ويرد على هذا شبهتان :

الشبهة الأولى : أن الحديث النبوى وحى بالمعنى كذلك ، واللَّفظ من الرسول ﷺ فلماذا لا نسميه قدسيا أيضًا ؟

والجواب : أننا نقطع فى الحديث القدسى بنزول معناه من عند الله لورود النص الشرعى على نسبته إلى الله بقوله ﷺ : « قال الله تعالى ، أو يقول الله تعالى » ولذا سميناه قدسيا ، بخلاف الأحاديث النبوية فإنها لم يرد فيها مثل هذا النص ، ويجوز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلَّمًا بالوحى (أى توقيفيا) ، وأن يكون مستنبطًا بالاجتهاد (أى توفيقيا) ولذا سمينا الكل نبويا وقوفًا بالتسمية عند الحد المقطوع به ، ولو كان لدينا ما يميز الوحى التوقيفى لسميناه قدسيا كذلك .

---

(١) ومثاله ما كان فى أسرى بدر ، فإن رسول الله ﷺ أخذ برأى أبى بكر وقبل منهم الفداء ، فنزل القرآن الكريم معاتباً له : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ (الأنفال : ٦٧).

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

الشبهة الثانية : أنه إذا كان لفظ الحديث القدسى من الرسول ﷺ فما وجه نسبته إلى الله بقوله ﷺ : « قال الله تعالى ، أو يقول الله تعالى » .

والجواب : أن هذا سائغ فى العربية ، حيث يُنسب الكلام باعتبار مضمونه لا باعتبار ألفاظه ، فأنت تقول حينما تنثر بيتًا من الشعر : يقول الشاعر كذا ، وحينما تحكى ما سمعته من شخص ، يقول فلان كذا ، وقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم ، وأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك إليهم : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، أَلا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلا ، فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ، إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَاْ مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إِنْ كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (١) .

* * *

(١) مَن ذهب إلى أن الحديث القدسى وحى باللَّفظ كذلك يجعل هذا فرقاً أساسياً بينه وبين الحديث النبوى ، ويبقى الفرق بينه وبين القرآن الكريم فى عدم التحدى وعدم الإعجاز وعدم التعبد بتلاوته وعدم التواتر فى معظمه (والآيات من سورة الشعراء : ١٠ - ٢٤) .